وقلنا: ما له في فنه مثيل ولا شبيه، كتاب تنفس الدهر به تنفس الروض في الأسحار.. يزري بتاج تراجم الأعيان وكأنه مرآة انعكست فيه رسوم أخبار الملوك وأفاضل الزمان، فاتخذته مرتع ناظري، ومنتعش خاطري، ولا يخفى أن لكل عصر رجال يقومون بأعبائه ويهيمون في أودية أنبيائه.. فلله درك ودر ما به ألمعت وما قربت من فنون المعارف وبعدت، ثم إنك حميت ضمار الشرع المحمدي وعضدته، وقطعت عنه ضرر الملحدين وخضدته. ورغم هذا السجع والعناية بالبديع فإن رأي الأمير يتلخص في الإعجاب بالكتاب للأسباب التالية:

. دفاع صاحبه عن صلاحية الشريعة الإسلامية للحكم في كل زمان ومكان.

ـ اهتمامه بقضايا المعقول والمنقول، وفنون المعارف العصرية والإشارة إلى أن لكل عصر رجالاً يقومون فيه بدور الدعاة إلى الله.

ـ كونه كتاباً نادراً في أخبار الملوك وأفاضل الزمان . مسلمين وأوروبيين . لذلك اتخذه الأمير منتعش خاطره وهو تعبير لماح وكاشف عما نحن بصدده[1].

3 . علاقة الأمير بكتب ابن عربي وأفكاره:

أراد بعض الناس من غلاة الصوفية الاستفادة من اسم الأمير عبد القادر ونسبوا إليه ما لم يعتقده، ومن أبرز هؤلاء الشيخ محمود الأرناؤوطي ومحمد الخاني ضموا إلى كلام الأمير ومراسلاته كتاب «المواقف» بعد وفاته بسنين عديدة في عام (1911م) دون وصية من الأمير أو تكليف.

وأثبتنا بالحجج والأدلة العلمية بطلان نسبته إلى الأمير، وهذا العمل ليس غريباً في تاريخ البشرية، فقد عظم المسيحيون سيدنا عيسى عليه السلام

[1] حياة الأمير عبد القادر ، تقديم أبو القاسم سعد الله ص 15 .

حتى ألّهوه، ونسب بعض المسلمين الذين لا يخافون الله إلى سيدنا محمد ﷺ الاف الأحاديث الموضوعة، إما افتراء عليه أو محتجين بالدعوة والانتصار لدينه. أفيعقل للباحث والمنصف والساعي للحقيقة المجردة أن يقول إن مثل الأمير عبد القادر، والذي يدّرس في مجالسه وفي داره وفي الجامع الأموي ودار الحديث النووي في المدرسة الجقمقية وفي ندواته العلمية، ويغترف من تفسير القران الكريم لابن كثير، ويعطي الإجازات في صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك ؛ يقول: إن البشر الذي خلق من ماء مهين قد يتألّه وبإمكانه أن يصبح الإمام والله واحد؟ أيجمع الإنسان ويحل لكونه خليفة الله في الأرض؟ أو يفسر القران الكريم والأحاديث الشريفة خلافاً لما ذكره السلف الصالح وأهل السنة والجماعة وضوابط قواعد التفسير التي حددها علماء وفقهاء الشريعة، وقد رأينا اهتمامه بالعلماء ومراجعة كبارهم في المسائل والنوازل التي يمر بها في حياته باحثاً عن حكم الشريعة، فراسل علماء القرويين بالمغرب والأزهر بمصر؟

إن الدراسات العلمية الدقيقة المتجردة في حياة الأمير، والتي عشت معها بتمعن وأخذت مني الوقت الكثير، وصاحبته خلال البحث في أسفاره وإقامته وفرحه وحزنه، في المعارك وفي حلقات العلم وفي أماكن العبادة ومع القران الكريم وفي ندواته العلمية الجزائرية والشامية والتركية ؛ تدل على أنه أبعد الناس عن المعتقدات الفاسدة والتصوف المنحرف. وعندما سئل عن عقيدته في الكرامات والوسطاء أجاب: إن ثقتي في الله وحده[1].

إن اتهام الأمير بتأثره بالعقائد المنسوبة والمتهم بها ابن عربي من وحدة الوجود والاتحاد والحلول اتهامات باطلة، فوحدة الوجود تعني . بأوجز عبارة: أن الله

---

[1] المصدر نفسه ص 16 .

تعالى والعالم شيء واحد فوجود المخلوق هو وجود الخالق[1]، ومعنى الحلول والاتحاد اصطلاحاً: الحلول والاتحاد عقيدتان نشأتا في بعض الأديان الوثنية والفلسفات القديمة، وظهرتا على وجه الخصوص بين النصارى الذين حرفوا دين الله المسيح عليه السلام حيث ادّعوا حلول الله أو اتحاده به، كما ظهرتا في العالم الإسلامي عند بعض غلاة الطوائف خاصة بعض الفرق المظهرة للتشيع الزاعمة حلول الله تعالى أو اتحاده بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أو عند بعض ذريته[2]، فالحلول ـ عند من يعتقده ـ: هو نزول الذات الإلهية في الذات البشرية ودخوله فيها، فيكون المخلوق ظرفاً للخالق بزعمهم[3].

والاتحاد ـ عند من يعتقده ـ: هو اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق فيكونا بعد الاتحاد ذاتاً واحدة[4].

وحقيقة قول هؤلاء: إن وجود الكائنات هو عين وجود الله ليس وجودها غيره وليس شيء سواه البتة[5].

فالخالق هو المخلوق والمعبود هو العابد والناكح هو المنكوح، والله عندهم عين الخنازير والكلاب والكفار، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً[6].

وخلاصة الفرق بين الحلول والاتحاد:

ـ أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

ـ أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال[7].

---

[1] مجموع الفتاوى لابن تيميه (80/2 ، 112 ، 140 ، 141) .
[2] ابن عربي عقيدته ومواقف العلماء منه ، د. دغش العاجمي ص 31 .
[3] المصدر نفسه ص 32 .
[4] المصدر نفسه ص 32 .
[5] المصدر نفسه ص 32 .
[6] المصدر نفسه ص 32 .
[7] المصدر نفسه ص 35 .

ومن أعظم العقائد المنسوبة لابن عربي قوله بوحدة الوجود، وهي أن الله تعالى والعالم شيء واحد، وأن الله عين وجود الكائنات، فكل ما تراه هو الله[1].

وهذه العقيدة فاسدة وباطلة، ولا يمكن لشخص اعتنق عقائد القران الكريم وما ثبت عن سيد المرسلين محمد ﷺ أن يعتقد هذه الأباطيل:

ـ فقد دلت النصوص الشرعية الكثيرة على أن الله تعالى هو خالق الكائنات ومصوّرها وموجدها من العدم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:62].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام:1].

وغيرها كثير تثبت أن الله هو الخالق وأن الوجود ليس واحداً، بل فيه خالق ومخلوق ورب ومربوب.

ـ ودلت النصوص الشرعية على أن الله عز وجل هو مالك الملك الذي له الملك التام، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[الملك:1].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[البقرة:107]. فالله مالك المخلوقات.

ـ كما دلت الأدلة على أن الله هو المحيي والمميت، يهب الحياة لمن يشاء ويسلبها عمن يشاء، قال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾[الحج:66].

[1] المصدر نفسه ص 35 .

وثمة غير الله وهو المخلوق الذي يموت ويحيا.

ـ وأمر الله بعبادته وحده لا شريك له فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:21].

وأخبر سبحانه أنه ما خلقنا إلا لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:56].

وما أرسل من رسول إلا لهذا الأمر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:36].

فهذه النصوص وغيرها كثير. تدل على أن هناك عابداً ومعبوداً.

ـ نهى الله سبحانه وتعالى عن الشرك أشد النهي وحذر منه أشد التحذير، وأخبر أن صاحبه محرم على الجنة وأنه خالد مخلّد في النار، وأنه لن يغفر لمن مات عليه، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:48].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[المائدة:72].

فهذه النصوص تدل على أن هناك غيراً يجعله بعض الناس شريكاً لله تعالى، ولو كان الوجود واحداً كما يقول أصحاب وحدة الوجود لكان الشرك الأكبر هو عين التوحيد الخالص، ولكان الذين عبدوا الأصنام والأشجار والأحجار والملائكة ما عبدوا إلا الله لكون هذه المعبودات مظاهر لذلك الوجود الواحد كما نص عليه أصحاب وحدة الوجود[1].

[1] المصدر السابق ص 53 – 56 .

وقد أخبر الله تعالى أن المشركين عبدوا غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ *وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:64 . 65].

وأخبر بوجود المشركين فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام:64].

وأمر نبيّه أن يتبرّأ من المشركين فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام:19].

وبذلك أمر أنبياءه فقال هود عليه السلام لما قال له قومه: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ : فقَالَ لهم عليه السلام﴿ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[هود:54].

ونزه الله ـ جل في علاه ـ نفسه عن الشرك وأهله فقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الأعراف:190].

وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:31].

وكان الرسل ينهون عن عبادة مظاهر الوجود ويجعلون ما عبده المشركون غيراً لله، ويجعلون عابده مشركاً بالله جاعلاً له نداً، وكان يُبيّنون بطلان عبادة تلك المعبودات والآيات في ذلك كثيرة جداً.

والرسل هم أعلم الخلق بالله، فلو كانت المعبودات هي الله لما نهوا عن عبادتها، فدل ذلك على أنها غير الله فثبت الغيرية وبطلت وحدة الوجود[1].

ـ ونزّه الله نفسه عن مماثلة المخلوقات وعن كل عيب ونقص، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:11].

[1] ابن عربي عقيدته ، د. دغش العجمي ص 53 – 57 .

وقال سبحانه: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة:255].

وقال عز وجلَّ :﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى ﴾[طه:52].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ *اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ *وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:1ـ 4].

فدلت هذه النصوص ونحوها على أن الله لا يُماثل المخلوقات ولا يتصف بصفات النقائص، ونحن نشاهد الكائنات[1]متصفة بصفات النقائص كالنوم والنعاس والضلال والنسيان والموت والفقر ..إلخ وثبت أن النقائص صفات لغيره فانتفت الوحدة وبطلت.

ـ كما دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على أن الله موصوف بعلو الذات، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:50].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:16].

وقال جلا وعلا: ﴿تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:4].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ﴾ ﴿يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[الأنبياء: 19].

فهذه النصوص تدل على أن هناك خلقاً وخالقاً، وأن الخالق تعالى على عرشه بائن من خلقه عالٍ عليهم، فبطل بهذا كون الوجود واحداً، لأنه لو كان كذلك لما وصف الله نفسه بالعلو.

ـ والقول بوحدة الوجود انسلاخ من الشريعة ؛ لأن من البديهيات أن من يرى أن ذات الإله حلت فيه أو اتحد هو بها، وأن الخالق هو المخلوق ؛ أنه

[1] درء التعارض (77/6) .

لا يرى نفسه موضعاً للتكاليف الشريعة، لأن التكليف ملازم للعبودية ؛ وأما وقد صار العبد رباً فلا تكليف مع الربوبية[1].

قال ابن تيمية: ولهذا يظهر فيهم من إهمال العبادات والأوراد والأذكار والدعوات ما لا يظهر في اليهود والنصارى، ومن سلك منهم مسلك العبادات ؛ فإن لم يهده الله إلى حقيقة دين الإسلام وإلا صار في اخر أمره ملحداً من الملاحدة من جنس ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما[2].

وقال . رحمه الله . ولهذا يصلون إلى مقام لا يعتقدون فيه إيجاب الواجبات وتحريم

خرج إلى الإباحة والفجور، وكان لا يُحرم الفواحش ولا المنكرات ولا الكفر المحرمات، وإنما يرون الإيجاب والتحريم للمحجوبين عندهم الذين لم يشهدوا أنه حقيقة الكون، فمن العابد؟ ومن المعبود؟ ومن الامر؟ ومن المأمور[3].

ـ كما أنهم يتجرؤون على مقارفة النواهي الشرعية بما في ذلك الكفر بالله والسجود لغيره والاستهزاء بالشرع والطعن في الدين وغير ذلك.

وقال ابن تيمية في التلمساني: وهو كان أعرفهم بقولهم وأكملهم تحقيقاً له، ولهذا والفسوق والعصيان[4].

إن الأمير عبد القادر الجزائري ليس من عقيدة وحدة الوجود في شيء، بدليل سيرته وكتبه ومقالاته، وقد بينا بطلان ما نسب إليه من كتب في التصوف المنحرف «المواقف». وإنما أراد أصحاب هذه الاعتقادات الاستفادة من شهرته ومحبة الناس له.

---

[1] المصدر السابق ص 63 ، 64 .

[2] المصدر نفسه .

[3] مجموع الفتاوى (82/2) .

[4] ابن عربي عقيدته ص 66 .

كما أن الشعر المذكور في هذا الكتاب المزعوم دليل إضافي على أن الكتاب ليس من تأليفه، فأبياته جلها مختلفة في وزنها، تميزت باضطرابات عروضية تجاوزت في بعض الأحيان ما أباحه العروضيون للشعراء وعدوه شاذاً، فضلاً عن توهمات وأذكار صوفية لا تدخل في الشعر، كما أن أغلب الأبيات والقصائد الواردة، هي قريبة من النظم أكثر منها إلى الشعر في تفعيلاته المعروفة عند الشعراء، لا تدخل في الشعر، وهي ليست إلا أذكاراً وتسبيحات ونجوى على مذهب القوم، أو إيماءات وتعابير متوسل بها في شطحة من شطحات الفرق الصوفية. اسمع معي بعض ما ورد في الكتاب المزعوم، واحكم وزن بعقلك وإيمانك على هذه العبارات بميزان العقيدة والشرع:

أمطنا الحجاب فانمحى غيهب السوى ... وزال أنا وأنت وهو فلا لبس

ولم يبق غيرنا وما كان غيرنا ... أنا الساقي والمسقي والخمر والكاس

تجمعت الأضداد فيّ وإنني ... أنا الواحد الكثير والنوع والجنس

فلا تحتجب بما ترى متكثراً ... فما هو إلا شخصنا المنزه القدس

ومن الأبيات الباطلة التي نسبت إلى الأمير في كتاب المواقف:

أنا العابد المعبود من كل صورة ... فكنت أنا رباً وكنت أنا عبدا

فطوراً تراني مسلماً أي مسلم ... زهوداً نسوكاً خاضعاً طالباً مدا

وطوراً تراني للكنائس مسرعاً ... وفي وسطي الزنار أحكمته شدا

أقول باسم الابن والاب قبله ... وبالروح روح القدس قصدا ولا كيدا

وطوراً بمدراس اليهود مدرساً ... أقرأ توراة وأبدي لهم رشدا[1]

[1] حوار مع الأمير عبد القادر ص 189 .

ولا حـول ولا قـوة إلا بالله، وفي أيامنـا هـذه نـرى رأي العـين كيـف يعمـد المفسـدون إلى رجـل مـن المشـاهير الـذين نعاصـرهم ونشـهد لهـم بالخـير فيشـوهون صـورته أمـام النـاس وينسـبون إليـه الأباطيـل حـتى يسـقط مـن أعيـنهم، ويعمـدون إلى رجـل وضـيع خسـيس فيرسمـون لـه صـورة زائفـة ويزينونهـا للنـاس حـتى يظنـوا أنهم أمام رجل عظيم وصدق القائل:

نظـرت بحـال الحاضـرين فـرابني   فكيـف بحـال الغـابرين أصـدّق[1]

لقـد تعـرض الأمـير عبـد القـادر لحمـلات تشـويه مركـزة ومنظمـة واختلقـوا لـه الأكاذيـب، وزعمـوا أنـه سـلم نفسـه لفرنسـا واستسـلم في نهايـة المطـاف، وزوّروا عليـه رسـائل ومعاهـدات سـخيفة ومخزيـة وزعمـوا أنهـا بخطـه، ثم اختلقـوا قصـة انتسـابه للجمعيـة الماسـونية وزوروا عليـه رسـالة بهـذا الخصـوص، وكـل ذلـك كـي يسـقط اعتبـاره عنـد النـاس كرجـل مخلـص لأمتـه، ولم يكتفـوا بـذلك بـل أسـرعوا فـور وفاتـه لتزويـر كتـاب عليـه وهـو كتـاب المواقـف في الـوعظ والإرشـاد، وضـمّنوه كلامـاً يجعـل الأمـير يسـقط عنـد النـاس باعتبـاره الإسـلامي والإيمـاني أيضـاً، فـلا يبقـى شـيء يصـلح لاتخـاذه قـدوة، لكـن الله أبى إلا أن يخـرج الحـق للناس.

إن الأمـير عبـد القـادر الجزائـري لم يعتقـد يومـاً مـن الأيام لا بوحـدة الوجـود ولا الحلـول ولا الاتحـاد بـل كانـت عقيدتـه سـنية صـافية بهيـة، ومـال إلى القـول بأن مـا كتـب في الكتـب المنسـوبة لابـن عـربي مـن عقائـد فاسـدة فهـو مـن الأباطيـل المنسـوبة إليـه، إن الأمـير عبـد القـادر اشـتهر بالتقـوى والخـوف مـن الله والإيمـان بـه وباليـوم الاخـر وحفـظ القـران وهـو في سـن مبكـرة مـن حياتـه، متـزن صـافي العقيـدة علـى مـنهج أهـل السـنة والجماعـة مـالكي المـذهب متقيـد بشـرع الله في

---

[1] الأمير عبد القادر فكره وحياته ص 259 .

حياتـه الخاصـة وأسـرته ومجتمعـه ودولتـه. ومـا نسـب إلى الأمـير مـن الرمـوز والحلـول والاتحـاد وغيرهـا مـن الرمـوز الصـوفية مـا هـي إلا أباطيـل واتهامـات، وكذلك اتهامه بالحيرة وزعمهم أنه كان يكررها في كثير من كتبه.

أيا حـــيرتي ومـــا الـــذي أصـــنع لقــد ضـــقت ذرعـــاً فمـــا ينفـــع
أكــــــاد تـــــــراني منفطـــــــراً جـــــــواهري مبثوثـــــــة أجمـــــــع

وما نسب إليه:

فحـــيرتي مـــا كنـــت كائنـــة وحـــــتى القيامـــــة لا تقلـــــع
فأشـــكو إلى حـــيرتي حـــيرتي فلـــــيس إلى غيرهـــــا مفـــــزع

وعنـدما نرجـع إلى كتـاب «المقـراض الحـاد لقطـع لسـان منـتقص الإسـلام بالباطـل والإلحـاد» نـرى عقيدتـه الصـافية وفكـره الرشـيد ومنهجـه المسـتقيم. ففـي الفصـل الخـاص بإثبـات الألوهيـة ذكـر الحـيرة بالحـرف التـالي: إن الفلاسـفة جـرّهم الجـدل العقلـي إلى قصـور وحـيرة. وهـذا ينـاقض مـا نسـب إليـه مـن فوضى فكرية ظلماً وعدونا، فالأمير عبد القادر نبراسه:

عليـك بشـرع الله فـالزم حـدوده حيثمـا سـار سـر وإن وقـف قـف

وقال من شعره العذب الجميل:

الحمـــد لله الـــذي قـــد خصـــني بصـفات كـل النـاس لا النسـناس
الجـــود والعلـــم النفـــيس وإنـــني لأنا الصـبور لـدى اشـتداد البـاس
وتحـــدثي شـــكراً لنعمـــة خـــالقي إذ كـان في ضـمني جميـع النـاس[1]

وهناك أمر مهم ويحدث كثيراً فيما يتعلق في تشابه الأسماء، فهناك غير

---

[1] حوار مع الأمير عبد القادر ص 192 .

الأمير عبد القادر من العلماء كتبوا كتباً وألفوا في مواضيع التصوف فاختلط الحابل بالنابل على بعض الناس والتبست الأسماء والمؤلفات على بعض الناس، ومن هؤلاء العلماء عبد القادر بن محيي الدين الجيلاني المتوفى عام (561هـ) وعبد القادر بن محيي الدين قضيب البان المتوفى عام (1040هـ)، وعبد القادر بن محيي الدين المتوفى عام (1150هـ)، وعبد القادر بن محيي الدين الصديقي الأربلي القادري الذي عاصر الأمير وعاش بعده خمسة عشر سنة.

إن الأمير عبد القادر نسبت إليه أفكار ضالة وهدّامة بعد مماته وليس في حياته. فأصحاب المناهج الضالة أرادوه حلولياً اتحادياً مثلهم، وأما الفرنسيون فأرادوه صديقاً لهم يعترف بفضلهم عليه، ونسوا أنه جزء من شعب يعاني ويلات الاحتلال ووطن افتداه بروحه كما أمره خالقه وأرشدته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهوية هذا الوطن ودينه وتاريخه وحضارته تعني له كل شيء في هذه الحياة[1].

والأبيات الشعرية التي وضعت في كتاب «المواقف» لا تمت إلى الأمير بصلة ؛ ليس لبعدها عن الجمال، إنما لركاكتها وفساد معتقدها وبعدها عن أسلوب الأمير في الشعر الذي اشتهر بعذوبته وسعة أفقه الفني والتاريخي والديني والاجتماعي، فأسلوبه من نوع السهل الممتنع.

ولقد عالج الأمير في أشعاره وأبياته الحكيمة مختلف جوانب الحياة كما عاشها بحلوها ومرها، ويظهر من خلال أشعاره تأثره العميق بكتاب الله عز وجل، وظهرت في أشعاره فحولة الشعراء ورصانة الحكماء، وما أحوجنا إلى

[1] المصدر نفسه ص 194 .

أن نغرس في نفوس النشىء الجديد من أبنائنا معاني العزة والشهامة والإباء والأصالة والشجاعة التي وردت في حكمه وأن نردد معاً قوله:

وما كل شهم يدّعي السبق صادق ... إذا سيق للميدان بان له الخسر
وعند تجلّي النقع يظهر من علا ... على ظهر جردبل ومن تحته حمر[1]
وما كل من يعلو الجواد بفارس ... إذا ثار نقع الحرب والجوُّ مُغبرُّ
وما كل سيف ذو الفقار بحدّه ... ولا كلُّ كرّار عليّا إذا كرّوا
وما كلُّ طير طار في الجو فاتكاً ... وما كلُّ صيّاح إذا صرصر الصقر

ولا عجب في اعتزاز الأمير بتراثه العربي الإسلامي الأصيل، ولا عجب في اختياره التراكيب المنبثقة من بيئة أجداده العرب، مثل قوله «عند تجلي النقع» و «ظهر جردبل» واستشهاده بقادة المسلمين الذين ملأت أمجادهم الدنيا في قوله «ولا كلُّ كرّار عليّا»[2].

4 . علاقة الأمير بالدولة العثمانية:

كان الأمير عبد القادر يحترم الدولة العثمانية من منطق شرعي، فهي كانت تمثل دولة الخلافة الإسلامية، والأمير لم يجعل دولته تابعة إدارياً لدولة الخلافة ولكنه كان تابعاً لها روحياً. وكان أثناء حكمه يخاطب السلطان العثماني بكلمة «مولاي خادم حضرتكم ومقبل تراب أعتابكم».

وكان يكن الاحترام والتقدير للدولة العثمانية وسلاطينها. ونظم الأمير قصيدة في مدح السلطان عبد المجيد فقال:

---

[1] الجردبل : الفرس القوي .
[2] الأمير عبد القادر سيرته المجيدة ص 169 .

يا رب يا رب الأنام ومــــــــن إليـــه مفزعنـــا ســـراً وإعــــلانا
يا رب أيـد بـروح القـدس ملجـأنا عبـــد المجيــد ولا تبقيــه وَجْــلانا
ابـن الخلائـف وابـن الأكـرمين ومـن توارثـــوا الملـــك ســـلطاناً فســـلطانا
أحيـا الجهـاد لنـا بعـد مـا درس وضـــاعف المـــال أنواعـــاً وألـــوانا
فانصـره نصـرا عزيـزاً لا نظـير لـه حـــتى يزيـــد العـــدا همـــاً وأحـــزانا
واحفـظ عـلاه وأرسـل يا كـريم لـه مـــن الملائكـــة حفاظـــاً وأعـــوانا
واهـدم وزلـزل وفـرق جمـع شـانئه واجعـــل فـــؤادهم بالرعـــب مـــلانا
وانصـــر وأيـــد جـــيش نصـــرته أنصـــار دينـــك حقـــاً آل عثمـــانا
البـــاذلون يـــوم الحـــرب أنفســـهم لله كــــم بــــذلوا أنفســــاً وأبــــدانا[1]

الضـــاربون ببـــيض الهنـــد مرهفـــة تخالهـــا في ظـــلام الحـــرب نـــيرانا
والطـــاعنون بســـحر البيـــد عاليـــة إذا العـــــدو راهـــــا شـــــرعت بانا
الراكبـــون عتـــاق الخيـــل ضـــامرة تخالهـــا في مجـــال الحـــرب عقبـــانا
المصـــطلون بنـــار الحـــرب شـــاعلة مطلـوبهم منـك يا ذا الفضـل رضـوان[2]

ونظـم قصـيدة عـام (1853م) والـتي قـال فيهـا فـور وصـوله إلى مدينـة بورصـة أقتطف منها:

الحمــــد لله تعظيمـــاً وإجــــلالاً مـا أقبـل اليسـر بعـد العسـر إقبـالا
أشــــكر الله إذ لم ينصــــرم أجلــــي حـتى وصـلت بأهـل الـدين إيصـالا
وامتـد عمـري إلى أن نلـت مـن سـندي خليفـــــة الله أفيـــــاء وأظـــــلالا
الله أكــــــرمني حقـــــاً وأســـــعدني وحــــط عــــني أوزاراً وأثقــــالا

---

1 الأمير عبد القادر حياته وفكره ، بديعة الحسني ص 88 .
2 المصدر نفسه ص 88 .